

معنى قوله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا

يقول تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } { يمتن على عباده بأنه الذي حفظهم، وهو الذي وفقهم وسددهم، وجماهم عن أن يخوضوا في شيء من المنكر، وعن أن يفعلوا شيئاً من المعاصي، فلولا أنه تفضل بحمايته عليهم، ولولا أنه تفضل بتسديدهم وتوفيقهم للحق وبيان الحق لهم حتى يصلوا إليه ويسيروا عليه لضلوا ولتأهوا. الزكاة هاهنا التطهير، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، يعني ما تطهر منكم أحد من الأنداس، والمعاصي؛ بل إن الله -تعالى- حماكم وحفظكم عن هذه المعاصي التي تدنس الأعراس، والتي تسيء السمعة والتي تقدرح في العدالة، وتقدرح في الديانة، فإذا وفق الله -تعالى- المؤمنين لها وحفظهم عنها؛ زكوا وتطهروا وابتعدوا عن الشرور، وإذا خذلهم وخلق بينهم وبين أعدائهم فإنهم يخوضون في تلك الذنوب التي تدنس أعراسهم، وتجلب لهم سمعة سيئة. فالتركية هنا، ما زكا منكم من أحد أبدا يعني: ما سلم من الخبث ومن الشرور والمنكرات، ونحو ذلك إلا من شاء الله -تعالى- أن يزكيه قال الله -تعالى- { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ } { قد يراد بالتركية هنا أنه يطهرهم، يزكي من يشاء، وقد يراد بالتركية: المدح، أنه يمدحهم ويثني عليهم؛ وذلك لأنهم أهل لذلك حيث إنهم طهروا أنفسهم؛ فتطهير النفس من الذنوب يسمى تركية قال -تعالى- { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } يعني من طهر نفسه عن الأنداس وعن مساوئ الذنوب ومفاسيدها. فالله -تعالى- هو الذي يزكي ولا يجوز للإنسان أن يمدح نفسه وذلك هو التركية في قوله -تعالى- { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى } أي لا تمدحوا أنفسكم، وتتنوا عليها بشيء غير حقيقي؛ فالفضل لله -تعالى- { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ } ثم أخبر بان الله هو السميع، سَمِيعٌ عَلِيمٌ لأفوالكم، وعالم بأعمالكم.